دراسة تركيبية ودلالية لبنية الاستفهام

سميرة حواشة
مختبر دكتوراه البحث في علوم اللغة والخطاب والدراسات الثقافية
samiraha775@gmail.com
بإشراف: الأستاذة رحمة توفيق والأستاذ مفيد الخامس
المملكة المغربية

الملخص:

تطرح بنيات الاستفهام عددا من الإشكالات التركيبية والدلالية في اللغة العربية ، إذ يتطلب الإجابة عنها تجاوز الحدود التي توقف عندها النحويون ، والنظر في الأبعاد الدلالية التي يمكن أن يتيحها هذا الأسلوب داخل سياقات لغوية مختلفة، معتمدين في تحليلنا على الدراسة النحوية لأسلوب الاستفهام ،إضافة إلى الدلالات التي يفضي إليها. في هذا الإطار، نبين أن المعاني غير المباشرة، التي يفيدها ، تكون مرتبطة بعناصر عديدة، تتجاوز البنية التركيبية للاستفهام، وتمتد إلى مكونات أخرى، من قبيل قرائن السياق، والقصدية، والحالة الذهنية والمزاجية للمستفهم ...

الكلمات المفتاحية: الاستفهام، النحو، دلالة، السياق، الاستفهام غير المباشر

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

تقديم

نروم، في هذا المقال، تحديد التصور الذي بناه النحويون القدماء لأسلوب الاستفهام ، ونستهله بالمعاني التي قدموها حوله، مبرزين دور المعاني النحوية التي تؤديها هذه الأدوات في ارتباطها بالسياق التواصلي الذي تنتج فيه. كما نبين إلى أي حد يؤدي كل حرف من حروفها وكل أداة من أدواتها معنى من المعاني. بناء على ذلك ، نطرح التساؤلات الآتية:

. ما التصور النحوي القديم الذي قدمه النحاة العرب القدماء لأدوات الاستفهام ؟

. هل تنسجم تحليلاتهم لبنيات الاستفهام مع مختلف التراكيب اللغوية التي ينتجها المتكلمون؟

. هل للسياق وظيفة في تغيير معنى الأداة إلى معنى آخر؟

للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، نعتمد في دراستنا على موقف النحويين من أدوات الاستفهام ، والمعاني المرتبطة بها، إضافة إلى تصور علماء الدلالة القدماء أمثال Gudjonson (2003) و Kotek, (2014) من بين آخرين .

1. حول تحديد المفاهيم

1.1مفهوم الاستفهام :

إذا نظرنا في المعاجم التي حددت لفظة "استفهم" ، نجد أن كلمة (فهم) اشتقت من الفهم ، الذي يدل في اللغة على العلم والمعرفة بالقلب، إذ يقال فهمت الشيء أفهمه فهما وفهامة[1].

ويدل الفعل استفهم في جملة " **استفهمت الرجل كلاما**"، على طلب معرفة مضمون الكلام ، والرغبة في فهمه.

والاستفهام اصطلاحا يدل على طلب المستفهم من المخاطب أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه. [2]

يعني هذا القول أن المستفهم يتصف بالرغبة في معرفة شيء يجهله ، طالبا من السامع تقديم الإجابات التي من شأنها إزالة اللبس والغموض عن ذهن المتكلم، وبذلك تتجلى وظيفة الاستفهام في الإفصاح عن الأمور الغامضة ، مع إضفاء مزيد من التوضيح ، حتى تكون واضحة المعالم لدى المتلقي.

1.1.1.أدوات الاستفهام :

يتم الاستفهام في اللغة العربية بإحدى عشرة أداة ، تنقسم إلى قسمين:

1- الحروف ، وهي حرفان : الهمزة وهل.

2- الأسماء ، وعددها تسعة وهي : من، ما، أي، كم ،كيف، متى، أيان، أين، أنى.

وتنقسم هذه الأسماء إلى ثلاثة أقسام :

أ)-أسماء تأتي ظرفا متى ،أيان، أين ، أنى.

---

[1] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج 12 ص 459، ط2،دار الفكر بيروت.

[2] سيبويه،الكتاب،ج1/ 101.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ب)-أسماء لا تأتي ظرفا وهي: من، ما ،ماذا، كم، كيف.

ج)-أسماء تأتي ظرفا وغير ظرف وهي: أي ، لأنها بحسب ما تضاف إليه ، فإن كان المضاف إليه ظرفا كانت ظرفا ، وإن لم يكن ظرفا لم تكن كذلك .نحو:

1)-أي شهر ولدت ؟

-2) أي رجل أتى؟

نلاحظ، في المثالين الواردين في (1-2) أن (أي) اكتسب سمة الظرفية في (1) لأن المضاف إليه (شهر) ورد ظرف زمان. في حين، لم تتصف بهذه السمة، لاتصالها بلفظ مضاف إليه غير ظرف.

ومنه، نلاحظ أن (أي) في الجملة (1) وردت ظرفا، في حين أن (أي) في الجملة (2) وردت مبتدأ.

والأصل في الاستفهام هو وروده بالهمزة ، فهي تتصف بعدم خروجها من هذا المعنى إلى سواه. في حين، تتضمن الأدوات الأخرى معنى الاستفهام ، بالنظر إلى تضمنها معنى الهمزة.

هل :حرف استفهام، الأصل فيه أن يليه الفعل مباشرة، توظف لطلب التصديق؛ إذ لا يكون جوابها بالتعيين، وإنما ب (لا) أو (نعم).كما أن الاستفهام بها يختص ببنية الجملة بأكملها.

تختص بالدخول على الجملة الفعلية، نحو :

3)أ . هل حضر زيد؟

تمثل البنية الواردة في(3أ) استفهاما عن كل من حدث المجيء، وفاعل هذا الحدث، لأن معنى (هل) يتوزع على محتوى البنية بكل مكوناتها، وهو أمر نروم تبيانه في الفصل الخاص بالدلالة التي تبثها هذه الأداة إلى جانب بعض أدوات الاستفهام الأخرى.

كما تختص (هل) بالدخول على الجملة الاسمية، التي لا يكون خبرها إلا مفردا، نحو:

3ب)- هل زيد حاضرٌ؟

الأمر الذي يجعل المعطى (3ج) لاحنا :

3ج)- *هل زيدٌ حَضَرَ؟

وقد سبقت الإشارةُ إلى أنها توظف للدلالة على طلب التصديق، بحيث لا يصح أن تقترن ب (أم) المعادلة ،نحو :

3د)- * هل حضر زيد أم خالد؟

أضف إلى ذلك، أنها لا يستفهم بها إلا في الجمل المثبتة؛ إذ لا يصح أن نقول :

3هـ) -* هل لم يحضر زيد؟

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يمكن القول إن مسوغ لحن مثل البنيات الواردة في (3ج، ،د ،هـ) ، حسب تصور النحاة العرب لقدماء، يعود إلى تفسيرات لا تتجاوز تركيب البنية، ولا تطور اللغة، وامتداداتها. وبالتالي فهو تحليل لم يراع السياق التخاطبي الذي أنتج فيه الخطاب، ويمكن الاستدلال على ذلك عند الحديث عن البعد الدلالي والتداولي للاستفهام، في فصل لاحق.

–الهمزة :

تعد أم باب الاستفهام ؛ إذ إن الأصل فيها أن لا يأتي بعدها إلا الفعل، لكن المتكلمين توسعوا فيها، وأجازوا أن يأتي الاسم بعدها لأصالتها في باب الاستفهام [1]، ونمثل لذلك بالمعطيات الآتية :

4) . أ). أحضر زيد ؟

ب). أ زيد حضر ؟

ج) . أزيد حاضر؟

د) . أ حاضر زيد ؟

ويمكن أن تتصدر الهمزة الجملة المنفية ، نحو :

هـ) . ألم يحضر زيد ؟

وتختص الهمزة بما يلي :

. **توظف طلبا للتصور، أي الاستفهام عن المفرد** ؛ مما يجعل الجواب عنها جوابا يحدد واحدا من العنصرين . كما يأتي المستفهم عنه بعد الهمزة مباشرة ، وتكون بعدها (أم) المعادلة (أو العاطفة) ، إذ سميت كذلك لكون ما بعدها يعادل ما قبلها في ذهن المستفهم ، نحو :

3) أ . أزيد حضر أم خالد ؟

تبني الجملة (3أ) في ذهن المخاطب توزيعا للفعل حضر ، حيث إن حدث الحضور لا يقتصر على زيد فحسب، وإنما على خالد أيضا .

. تأتي بعدها جملة اسمية وجملة فعلية : رغم أن النحاة حددوا أن الأصل هو أن يأتي بعدها الفعل، ولا تدخل على الجملة الاسمية ، نحو:

ب . أحضر زيد ؟

ج . أزيد حاضر؟

. **توظف طلبا للتصديق** ، والمقصود بالتصديق الاستفهام عن حقيقة نسبة فعل معين أو صفة إلى شخص معين ، وجوابها يكون ب (نعم) أو (لا) ، في الكلام الموجب، نحو :

[1] سبويه، الكتاب ،ج،1، ص99.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

4) أ) . أشربت اللبن ؟

ويجاب عنه في الكلام المنفي ب "نعم" لتصديق النفي :

ب) . ألم تشرب اللبن ؟

و ب "بلى" ، من أجل أن يحول النفي إلى إثبات ،نحو :

ج) . ألم تشرب اللبن ؟

فتجيب ب "بلى" ، إذا شربته .

. تختص بالصدارة ، مما يجعلها تتقدم على حروف الجر والعطف ، وعلى (إن) وعلى المفعول به المقدم ، ونمثل لذلك بما يلي :

(**5** أ) أ في القسم تلاميذ؟

ب) . أ وما سمعت الخبر ؟

ج) أ إنك لتؤيد الحق ؟

د) أ كتابا قرأت؟

- جواز حذفها، إذا وجدت قرينة تسوغ هذا الحذف، كورود (أم) المعادلة في ما يلي:

5)-لا أدري زيد قائم أم خالد؟

وتقدير الجملة :

-لا أدري أ زيد قائم أم خالد؟

- **تسقط بعد همزة الوصل المكسورة، لفظا وكتابة**، نحو:

-أ تّعظت بما حصل؟

– إذا وقعت بعدها لام التعريف، أدغمت فيها وأصبحتا همزة ممدودة، مثل:

- " قل ءآلله أذن لكم أم على الله تفترون" [1]

– وجود همزة التسوية، تليها جملتان تفصل بينهما أم المعادلة المتصلة العاطفة، ليتحول أسلوب الاستفهام من الإنشائي إلى الخبري، وتسبق الكلمة ب (سواء)، أو ما في معناها، ونجدها في القرآن الكريم، في آيات الدعوة إلى الدين، أو الصدود عنه، نحو :" قال تعالى:(وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" [2]

[1] سورة يونس الآية (59).

[2](سورة يس الآية :10) .

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

-أسماء الاستفهام:

يطلق عليها أسماء الاستفهام رغم أن أصلها لا يختص بالاستفهام ، وإنما هو أمر عارض فيها، لكونها تتضمن معناه؛ إذ إن تصور النحويين مُنصبٌّ على دلالة هذه الأسماء على الاختصار، فهي تختصر معنى من المعاني ، لتغني عن الكلام الكثير، بحيث لا يمكن أن نقول :

-إلى أين؟

بدل : أين تذهب؟

تجعلنا جملة (أين تذهب) نفهم بطريقة مباشرة وغير ملتوية أن المستفهم يسأل عن المسار الذي يسلكه المخاطب، ويستفهم بالضبط عن وجهة الذهاب.

يظهر أن أداة الاستفهام (أين) وغيرها من الأدوات – التي نحدد خاصيتها النحوية – تكشف معنى من المعاني، لتقوم بعد ذلك بتوزيع هذا المعنى المكشف على باقي معطيات البنية التي توظف فيها .

من : نستفهم بها عن العاقل ، وتكون استفهاما عن المفرد والمثنى والجمع بأنواعهم[1] ، نحو :

6) أ- من جاء؟

تدل البنية (5،أ) على استفهام عن فاعل فعل المجيء ، وهو تهيؤ قبلي من قبل المتكلم على طبيعة الفاعل ، في كونه فاعلا آدميا ؛ إذ إنه لا يصح الإجابة ب:

7)-جاء كلب .

تبين البنية الواردة في (5) أن الأداة (من) أعطت انطباعا قبليا على أن المستفهم يسأل عن الإنسان العاقل.

يقدم هذا التحليل تفسيرات منطقية دقيقة، قدمها النحاة العرب القدماء بخصوص استعمالات (من) ، إلا أننا نبين، فيما يلي، أن السياق التخاطبي قد يحيل إلى شيء آخر غير هذا المعنى، ذلك أن الأداة (من) وغيرها من الأدوات قد تؤطر بسياق استثنائي يفهمه المتخاطبان أو المتخاطبون، ليجعلوا لهذه الأدوات منحى آخر غير المنحى الذي وُضعت له من قبل النحويين .

وتجدر الإشارة إلى أن الأداة (من) قد تقترن بالاسم الموصول (الذي/ التي) ، وتأتي في صدارة الكلام ، لكن إذا نظرنا فيما يقوله المتكلمون، نجد أن الأمر قد تجاوز ذلك، نحو :

8) أ- من جاء؟

ب- من الذي جاء؟

ج- عمن تبحث؟

د)- إلى من سترسل هذه الرسالة؟

[1] المرجع السابق، ج4،ص233/228.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

هـ)- بعد من سيأتي دورك؟

يتبدى لنا أنه بالإضافة إلى اختصاص (من) بالصدارة، في البنية (6أ) ،هناك بنية أخرى كما في(ج،د،هـ) لم تتصدر فيها هذه الأداة، بل تقدمت عليها أدوات أخرى، من قبل حروف الجر، التي أخذت الأولوية في الصدارة ، والظرف (بعد) في البنية الأخيرة الذي انتزع الصدارة من أداة الاستفهام.

ونفترض، اعتمادا على هذا التحليل الأولي ، أن حروف الجر وبعض الظروف أقوى مكانة تركيبية منها ، الشيء الذي جعلها تتصدر الكلام.

- **ما :**

يستفهم بها عن غير العاقل وعن حقيقة الأشياء والصفات، سواء أكان عاقلا أم غير عاقل، مثل :

9) أ- ما اسمك؟

ب-ما الشعر؟

تستفهم البنيتان الواردتان في (7،أ،ب) عن صفات الأشياء وحقيقتها. كما

نجد، أيضا ،أن الأداة (ما) ، تتصدر الجملة ، بحيث لا يمكن لأي حرف آخر أن ينتزع منها هذه الصدارة ، وإذا حدث ذلك فسيتغير معناه من معنى الاستفهام ،إلى معنى آخر ، يُفهم من سياق الكلام. لنلاحظ البنيات الآتية :

10، أ)-ماذا تكتب؟

ب)-بعد ماذا تكتب؟

ج)-ما لونه؟

يتبين أن الأداة (ما) تقدمت عليها أدوات استفهام أخرى، من قبيل: كيف.. وبالتالي فإنهما تتنازعان على العمل ، لتأخذ (كيف) الصدارة، ويتغير معنى (ما) من الاستفهام إلى معنى آخر يحدده سياق الجملة، نحو :

10د)-كيف ما كان اسمه فهو محبوب.

نستشف من هذه البنية أن معنى الاستفهام منعدم ،نظرا لورودها في سياق يدل على أن الشخص سيبقى محبوبا رغم إيحاء اسمه على نوع من البغض والعداوة.

ماذا : اسم الاستفهام مركب من (ما) الاستفهامية، و(ذا) اسم الإشارة، يستفهم بها عن غير العاقل، وعن حقيقة الشيء أو صفته، سواء أكان عاقلا أم غير عاقل ، وتتصل بالاسم الموصول (الذي)، كما تأتي في مواقع بوصفها كلمة واحدة دالة على الاستفهام (ماذا) ، وتمثل للأوجه التي تأتي عليها هذه الأداة بالمعطيات الآتية :

11) أ- ما ذا الخبر؟

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ب–ما الذي تقرأ؟

ج– ماذا قرأت؟

تتركب البنية(9أ) من (ما) الاستفهامية المتصلة باسم الإشارة (ذا) ؛ بحيث تعد مبتدأً ابتُدِئ به الكلامُ، في حين تمثل (ذا) خبراً له، معتبرين تقدير البنية كما يلي :

–(ما هذا الخبر؟)

ويفترض أنه الهاء قد حذفت لضرورة سياقية فرضها المتكلم، أو رغبته في الاقتصاد اللغوي، أو أنه كان على عجلة من أمره، مما جعله يستغني عن هاء التنبيه ، لوجود بدائل أخرى سياقية تنبه السامع.

تدل (ما) الاستفهامية المقترنة باسم الموصول (الذي) ، على رغبة المستفهم في معرفة طبيعة المقروء الذي يقرأه المخاطب، نظرا لعدم علم المتكلم به، أو من أجل توبيخه على عدم انتقائه للأشياء التي يقرأها. في حين، يستفهم في البنية (ج) ، ب(ماذا) المستغنية عن أي اسم يرتبط بها ، والتي تؤدي معنى الاستفهام عن شيء غير مادي وغير معلوم لدى المخاطب ، وبدون وجود أي اسم يفضي إلى هذا الاستنتاج ، وإنما اكتفاؤها بذاتها وتحقيقها دلالة الاستفهام.

–كيف : اسم استفهام يوظف في الاستفهام عن حال الشيء وهيئته، إذ تتصدر الكلام ، ومنه أكد النحاة القدماء على أن (كيف) الاستفهامية تأتي مصدرية بالضرورة ، مما يدل بطريقة غير مباشرة أن أصناف (كيف) التي لا تتصدر الكلام، لا تدل على الاستفهام، أو ما في معناه، ويمكن الاستدلال على هذا الافتراض، بالمعطيات الآتية :

12) أ– كيف وجدتَ الحفلة؟

ب– أمهلني بعضا من الوقت، لأفهمك كيف حصلت على هذه النتيجة.

يفضي بنا تأمل المعطيين السابقين الواردين في (12،أ،ب) إلى عقد مقارنة أساس، مفادها ملاحظة طبيعة كل جملة على حدة؛ إذ إن الجملة الأولى تظهر بشكل مباشر أنها جملة استفهامية، وتنتهي بعلامة دالة على الاستفهام، لأنها صُدِّرت باسم الاستفهام (كيف) .كما يفيد عنصر النبر أننا بصدد استفهام حقيقي ومباشر عن الحالة التي وجد المخاطب الحفلة عليها، من أجل أن يسترسل في الحديث عن تفاصيلها، والتعبير عن شعوره تجاهها. في حين، يختلف الأمر في المعطى الثان الوارد في (12،ب) اختلافا ملحوظا؛ ذلك أن البنية لا تتصدرها أداة الاستفهام، فهي واردة في وسط الكلام، ولم تنته البنية بعلامة استفهام، كما أن النبر الصوتي يوحي إلى أنها جملة تقريرية، تفيد رغبة منتج الخطاب في إعطاء توضيحات عن كيفية تحقيقه للنتيجة، حتى يتمكن المخاطب من فهم هذا الأمر واستيعابه، ومنه نستنتج أن هذا المخاطِب لم يكن بصدد السؤال المباشر والحقيقي عن كيفية تحصيل النتيجة، وإنما نفترض أن هذه البنية هي جواب عن سؤال آخر، يمكن أن ذكره في سياق الكلام، يتساءل من خلاله المخاطب عن :

–كيف حققت هذه النتيجة المتميزة؟

كم: توظف في الاستفهام عن العدد.

لنتأمل المعطيات الآتية :

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

13) أ- كم كعكة أكلتَ؟

ب- كم أكلت من الكعك؟

ج-أعلم كم تحب الكعك؟

تتميز البنيتان(13،أ) و(13،ب) عن البنية (13،ج) في أنهما يدلان على الاستفهام، لاسيما وأنهما صُدِّرتا ب (كم). في حين، تدل الأداة في البنية (ج13) ،على الإخبار المُتسم بالتعجب من مدى حب المخاطب للكعك، فلا يريد من خلال ذلك جواباً ومعرفةً بالأمر ،لأن منتج الجملة يعلم سابقا حجم هذا الحب ومقداره، لكن هذا التحليل لا يمكن إسقاطه على البنيتين (13أ) و(13ب)؛ ذلك أن منتجهما يجهل عدد الكعكات التي أكلها المخاطب، ويريد أن يقدم له معطيات عددية تحقق له الفهم والمعرفة المباشرة.

أي : توظف في الاستفهام عن العاقل وغير العاقل، وللمكان والزمان، كما يطلب بها تعيين الشيء، ويظهر ذلك في المعطيات الآتية:

14) أ- أي الاختيارين أفضل؟

ب- أي وقت سيكون اللقاء؟

ج- أي صديق زارك؟

د- أي مكان تقطن؟

هـ- أدركت جيدا أي معنى تريد أن تقصده.

تدل (أي) في (14أ) على الاستفهام حول أفضلية الاختيارين المعروضين على المخاطب ،لتكون الإجابة بتعيين أفضلها، بينما تدل البنية(14ب) على رغبة المستفهم في تحديد وقت معين، يحتوي اللقاء المذكور بينهما. ومنه نستنتج أن (أي) في البنيتين اقتضت بالضرورة تعيين شيء أو تعيين زمان، ويمكن أن يُطْلَب بها تعيين العاقل، وهذا ما يظهر في البنية (14ج) ؛ إذ يسعى المستفهم إلى جعل المخاطب يحدد اسم الصديق الذي قام بفعل الزيارة، وتُوظَّف (أي) كذلك في بنيات تروم الإجابة بها عن المكان، ذلك أن البنية (14د) يطلب المستفهم من مخاطبه تعيين المكان الذي يستقر فيه.

إلا أن الأمر لا يكون دائما بهذا المعنى المباشر للأداة (أي)، لذا نجد في البنية (14هـ) خروجا عن المعنى الاستفهامي الذي وُضعت له أول مرة، بمجرد نزوحها عن الموقع المصدري، لتدل على معنى إخباري، بالنظر إلى أن (أي) والجملة المرتبطة بها تعوض مفعولَ الفعل (أدرك)، لأنها تجيب عن فحوى الإدراك ومضمونه.

أنى : اسم استفهام مبني على السكون، يأتي بمعنيين: الأول بمعنى "من أين؟ " ، استفهاما عن المكان، والثاني بمعنى "كيف؟" ، استفهاما عن الطريقة..

لنتأمل البنى الآتية :

15) أ- أنى لك كل هذا المال؟

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ب- أنى فعلت هذا؟

ج- أنى أتيت؟

د- أنى تقرأ تفهم.

يمكن تسجيل ملاحظة أساس، مفادها أن (أنى) تُوظف في سياقات عديدة ،بوصفها حرف شرط يعوض (إن) و(لو)، خالية من أي تحديد زمني يوجه فعلَي الشرط وجوابه، وهذا ما نلاحظه جليا في المثال (د)؛ حيث إن فعل الفهم مشروط بفعل القراءة، وهذا الرابط الشرطي السببي القوي بين القراءة والفهم حققته الأداة (أنى).

لكن ما يهمنا، في هذا التحليل ،هو إبراز توظيفات أنى الاستفهامية، وهو أمر تعبر عنه البنيتان (15أ) و(15ب)، ذلك أن البنية (15أ) تدل فيها الأداة عن معنى (من أين؟)، رغم أن هذه الدلالة غير مباشرة للأداة، إلا أنها لم تخرج عن معنى الاستفهام، إذ ما يزال مضمنا في البنية ،لكن بصيغة أخرى، أو بالأحرى ، بأداة أخرى تمثلها (أين) الدالة على المكان.

ينطبق الأمر نفسه على البنية (13ب)، التي تدل فيها (أنى) على أداة الاستفهام (كيف)، مما يفضي بنا إلى افتراض أن (أنى) يمكن تعويضها بأدوات استفهامية أخرى، وكل ذلك حسب المعنى الذي يريد المتكلم أن يبثه في كلامه.

متى : يُستفهم بها عن الزمن الماضي والمستقبل، وينبغي في جوابها أن يتضمن تخصيصا زمنيا، وقد وضح المبرد هذا الطرح بقوله :" و إن قيل : متى لقيت زيدا؟ فقلت شهرا، لم يجز، لأن اللقاء لا يكون إلا في بعض الشهر، وإنما قال لك : متى ، لتوقت له، فتعرفه، فإنما جواب ذلك : يوم الجمعة، أو شهر رمضان، أو ما أشبه ذلك"[1].

فالمستفهم عالم بالحدث في كليته، لا ينقصه إلا زمن وقوعه، وينتظر من المخاطب تخصيصا معدودا أو غير معدود، ويمكن توضيح ذلك الأمثلة الآتية:

16) أ- متى تنشر كتابك؟

ب- متى ستنشر كتابك؟

ج- منذ متى وأنت تنتظر؟

د- اتصل بي متى احتجتني.

يظهر، من خلال المعطيات أعلاه، أن (متى) تختص بالدخول على الأفعال والأسماء، فتَسِمُها بسمة الاستفهام، إذ يجهل المستفهم زمن حدوث الفعل، ويسعى إلى تحديد زمني من قبل المخاطب، لكن ما يجب الإشارة إليه -أيضا - هو ارتباط (متى) بالزمن بأنواعه الثلاثة؛ ذلك أنها ارتبطت في البنية (16أ) بالفعل الماضي، من أجل السؤال عن زمن السفر، الذي قد تحقق في الزمن الماضي، في حين اقترنت متى في البنية (16ب) بالزمن المضارع، لمعرفة زمن نشر الكتاب، إلا أن البنية (16ج) أحدثت مفارقة زمنية قوية، لأن المستقبل البعيد عن زمن الحاضر، على خلاف اقتران (متى) بالفعل المضارع، الذي يوحي إلى المخاطب ،بأن زمن نشر الكتاب على وشك التحقق في زمن قريب جدا من زمن الكلام.

[1] المقتضب، المبرد، ج2،ص555.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

والبنية (16د) تعمق البعد الزمني المرتبط ب(متى)، بمجرد اقترانها ب(منذ) التي تصدرت الكلام؛ إذ أعطت انطباعا لدى المخاطب ليعطي تأطيرا زمنيا يَحُدُّ زمن الانتظار.

من أجل أن يجيب ب :

-" انتظرتك من الساعة كذا إلى الساعة كذا"

أو

-"انتظرتك من الصباح إلى الآن"

نرى أن الزمن في البنية (16،أ) لم يعد فضفاضا، وإنما تم تخصيصه عند اتصال (متى) ب(منذ).

بينما تكون البنية (16د) خالية من التأطير الزمني، لأن المتكلم جعل الاتصال رهينا بالحاجة إليه في أي وقت، فهو لم يحدد هذا الوقت، وإنما تركه مفتوحا، تؤطره ظروف المخاطَب، التي ستجعله يحتاج إليه.

أيان : تختص بالاستفهام عن الزمن المستقبل ،في حال التعظيم والتفخيم، وهي تتقاطع من حيث الدلالة مع (متى)[1]، كما يرى النحويون أنها مركبة من (أي) و(أوان)، إذ حذفت الياء الأخيرة من (أي) والهمزة من (أوان)، ثم قلبت الواو ياءً، وأدغمت في الياء ،فصارت (أيان)[2]، لنلاحظ البنيتين الآتيتين:

17) أ- أيان تتزوج؟

ب- تبتهج روحي أيان حلول فصل الربيع.

وردت الأداة (أيان) مصدريةً في البنية (17،أ) ،ودخلت على الجملة لتفيد استفهاما عن حدث سيتحقق في الزمن المستقبل، وهو الاستفهام عن زمن الزواج. خلافا لذلك، لم ترد مصدرية في البنية (17،ب) ،ولم تدل على معنى الاستفهام، رغم أنها اتسمت بسمة زمنية، ذلك أنها تدل على : "في الوقت نفسه"، فهي حاملة لمعنى الزمن، رغم اختلاف السياق الذي وظفت فيه، لكنها لا تدل على الاستفهام، وإنما تدل على أن ابتهاج الروح رهين بحلول فصل الربيع. فالحدثان متلازمان مع بعضهما البعض، وما يؤكد هذا التلازم هو الرابط الزمني (أيان).

أين : أداة توظف في الاستفهام عن المكان، إذ يقول سبويه: "ولا يكون (أين) إلا للأماكن كما لا يكون (متى) إلا للأيام والليالي."[3]، نحو :

18) أ- أين زيد؟

ب- أين ذهب زيد؟

ج- من أين أنت؟

---

[1] الكتاب ،سبويه، ج،4،ص201 .

[2] الصاحبي، ص 201.

[3] 10الكتاب ،سبويه ،ج،1، ص220/219.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

توضح الأمثلة الواردة في (18،أ-ج)، أن أداة الاستفهام (أين) غالبا ما تأتي مصدرية، من أجل الدلالة على المكان، لكن ما يمكن تسجيله هو دخولها على الاسم والفعل معا. من هنا، نتساءل:

-هل البنيتان (17،أ-ب) توحيان إلى المعنى نفسه، أم أن ورود الفعل (ذهب) غيّر مجرى الاستفهام؟

تقتضي الإجابة عن هذا السؤال إدماج السياق الذي يحكم المقام التواصلي بين المتخاطبين، ذلك أن جملة (أين زيد؟) يُرَبَطُ فيها ذهنُ المخاطَب مباشرة بمكان زيد، كأنه قال : أين يوجد زيد؟

فهو سؤال عام ومفتوح لا يمكن تخصيصه، بينما الجملة الثانية ارتبطت بفعل الذهاب، فالمتخاطبان يعلمان بأن زيدا قد ذهب، لكن يبقى ذهن المستفهم خاليا من الوجهة التي ذهب إليها زيد.

تأتي الجملة الثالثة لتبين أن الأداة لا ترد دائما مصدرية، إذ لا يمكن أن تسبقها حروف الجر لتدل على المسار، سواء أكان مسار البداية، يبتدئ فيه المستفهم ب (مِنْ)، أو مسار النهاية والهدف، الذي يمثله الحرف (إلى).

2-الاستعمالات الدلالية لأدوات الاستفهام :

نبحث ، في هذه الفقرة، عن الخصائص الدلالية لأدوات الاستفهام، لنبين أن دلالات هذه الأدوات لا تكون للاستفهام، وإنما يكون اختصاصها للمعنى الذي جاءت له في الكلام. وتحدد هذا المعنى قرائن متعددة. كما يعد السياق أهم هذه القرائن، فلا يمكن أن نطلق عليها أداة استفهام إلا إذا دلت على الاستفهام الحقيقي والمباشر في البنية[1]. ويقيم، هذا التحليل، نوعا من التعارض مع ما توصل إليه النحويون والبلاغيون، سواء فيما يخص الوضع الأول الذي وُضعت له هذه الأدوات، أو فيما يخص المعاني السياقية والبلاغية التي تؤديها الأداة.

نفترض ، في خطوة أولى أن الاستفهام يقام في ذهن المستفهم ويتأسس فيه، ويتم التعبير عنه في مستوى اللغة المنطوقة، مما يدلنا على مسألة أساس ألا وهي الحالة التي تنحرف فيها أداة الاستفهام عن المعنى الاستفهامي، لتدل على معنى آخر ، فهي الحالة نفسها التي لا تترسخ في ذهن المستفهم على أساس استفهام، الشيء الذي يؤيد الافتراض القائم بخصوص اختصاص الأداة بالمعنى الذي سيقت له في الكلام.

وإذا عدنا إلى المعطيات التمثيلية المستقاة مما يقوله المتكلمون، نجد ما يدعم هذا الطرح، لنتأمل المعطى المضمن في (19) :

19،أ) اتصل بي متى شئت.

ينتج عن معنى هذه البنية ترابطا زمنيا بين حدثين؛ حدث الاتصال وحدث الرغبة في الاتصال والحاجة إلى ذلك، مما يؤكد أن الأداة (متى) حققت اتصالا زمنيا وتعالقا سببيا بين مشيئة المخاطب وحدث الاتصال.

يتبين، من خلال ذلك ، أن (متى) فارغة من المحتوى الاستفهامي الزمني، الذي يمكن أن تدل عليه في بنيات سياقية أخرى، كما أن المتكلم ، وهو يوظفها في كلامه،لم يبنِ تصورا ذهنيا عن الطبيعة الاستفهامية لهذه الأداة ، لأنه بطريقة غير مباشرة يعي أنها لا تختص بالاستفهام فحسب، بل تدل على المحتوى الزمني، وتقيم نوعا من الوصل الزمني بين حدثين متعالقين، ومنه، فهذه الأداة غير مختصة بالاستفهام، وإنما سياق الجملة هو المحدد الأساس لمعناها.

[1] كودجونسون (2003) .

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2. 1الاستفهام في علاقته بالزمن :

الأداتان متى وأيان : ربط النحاة الاستفهام بهما بالزمن، لكن (متى) شائعة الاستعمال، وتختص بالسؤال عن الزمن الماضي والمستقبل، في حين أن (أيان) لا تستعمل إلا لعظام الأمور[1] ، ويكون اختصاصها في الاستفهام عن المستقبل.

إذا تفحصنا البنيات التي يمكن أن ترد فيها (متى) و(أيان) الاستفهاميتان نجد أن الكلام قبل دخولهما عليه يكون خاليا من معنى الاستفهام والزمن :

20) أ- جاء زيد.

ب- متى جاء زيد؟

21) أ- يوم القيامة يوم عظيم.

ب- أيان يوم القيامة؟

نلاحظ، أن البنيتين في (20أ) و(21أ) تحولتا من جملة خبرية، تقدم معلومة إلى المتلقي، إلى جملة استفهامية، تسأل عن زمن حصول الحدث (حدث مجيء زيد وحدث يوم القيامة).

نستنتج أن الأداتين أدتا معنى التحويل، وهو معنى مضمن في جميع أدوات الاستفهام التي عدها النحاة والبلاغيون، لكن (متى) و(أيان) حولتا الجملتين (20أ)و (21أ) إلى معنى الزمن ، ومنه، فهما تؤديان الوظيفة التحويلية الزمنية؛ إذ لم يعد ذهن المتلقي مرتبطا بحدث المجيء بشكل عام، وإنما تم تخصيصه بالزمن الماضي والمستقبل، عندما وظفت (متى) في الاستفهام عن الماضي، و(أيان) في الزمن المستقبل.

يتأسس الاستفهام في علاقته بالزمن بناء على مفهوم التحويل، وهو مفهوم دلالي تترجمه البنية وهي مليئة بمعنى الاستفهام الزمني؛ إذ إن انتقالنا من(أ) إلى (ب) يجعل (ب) جملة موجَّهة، وهذا التوجيه ينتقل إلى ذهن المتلقي ليفهم أن المستفهم لا يهمه من حدث مجيء زيد سوى زمنه، ولا يهمه من يوم القيامة غير توقيته المستقبلي.

نستشف مما سبق أن (متى) و (أيان) تدخلان على الجملة لتحققا وظيفتين : أولهما التحويل، وثانيهما التخصيص.

يدل التحويل على نقل معنى الجملة من التقرير (بوصف (أ) و(ب) جملتين تقريريتين) إلى الاستفهام ، في حين يدل التخصيص على وسم البنية الاستفهامية بالزمن، سواء أكان زمنا ماضيا أم مستقبلا.

تشترك أدوات الاستفهام جميعها في تضمنها لمعنى التحويل، بوصفه القاسم المشترك بينها، فمنها ما تختص بالتحويل الزمني، ومنها المكاني...، الشيء الذي يدل على أن هذا التخصيص الذي تكتسبه الجملة بفضل الأداة هو أنها تعد موجهات دلالية توجه دلالة الكلام. لنلاحظ ما يلي :

22) أ- أزيد مجتهد؟

ب- هل استمتعت بأنشطتك الرياضية؟

[1] ابن الحاجب، الكافية، ج2، ص117.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

ج- متى اللقاء؟

د- كيف أحوالك؟

وجهت الأدوات، التي تصدرت البنى في (22)، مضمون الكلام؛ إذ قامت بتحويل حدث الاستمتاع بالأنشطة الرياضية إلى سؤال، يبتغي من خلاله السائل التأكد من حقيقة هذا الاستمتاع، كما وجهت الأداة (متى) دلالة البنية الدالة على حدث اللقاء، إلى التساؤل حول زمن انعقاده، مما يوحي إلى أن هذا اللقاء لم يتحقق بعد، فالمستفهم يريد معرفة زمنه، لأن اللقاء معروف في ذهن المخاطبين بشكل عام، ليأتي دور الأداة متمثلا في تخصيص هذا اللقاء، وإعطائه توجيها زمنيا محددا، يمتد إلى الزمن المستقبل. وقدمت الأداة (كيف) تخصيصا يريد من خلاله المستفهم معرفة أحوال المخاطب، والبحث عن حيثياته وتفاصيله . فالتوجيه متمثل في أن الأداة وجهت ذهن المخاطب نحو استفاضة الحديث حول أحواله، من أجل بث حالة من الاطمئنان بالنسبة إلى المستفهم.

2-2- الاستفهام في علاقته بالمكان :

الأداة (أين) : تؤدي الأداة (أين) دلالة فضائية؛ إذ نستفهم بها عن المكان الذي نجهله، ونتوقع أن المخاطب يعلمه، ثم نتساءل عن نسبة علمه به، من أجل التحقق من مدى معرفته.

لنتأمل البنى الآتية :

23) أ- أين زيد ؟

ب- أين ضيعت الكتاب؟

نستفهم في (23أ) عن مكان وجود زيد، ونلاحظ أن الأداة (أين) تصدرت الكلام، ووجهته نحو السؤال عن المكان، كما أنها حولت دلالة البنية الأصل (زيد موجود) إلى الدلالة على المكان الذي يتموقع فيه زيد، الشيء الذي يؤكد أن دخول (أين) على هذه الجملة جعل ذهن المتلقي يركز على نقطة واحدة هي المكان، وليس حقيقة وجود زيد أو سبب وجوده...

ويمكننا أن نضيف افتراضا آخر، ألا وهو أن المستفهم يعلم بالمكان، فأعاد التوجيه بواسطة الأداة (أين) ، للتأكد من أن المتلقي يعلم بحقيقة المكان تمام العلم.

وُظِّفت (أين) في البنية (23ب) للاستفهام عن المكان الذي ترك فيه المتلقي الكتاب وضيعه، فطرفا الحوار يعلمان حقيقتين؛ الأولى تتمثل في أن موضوع التواصل يمثله الكتاب، وليس موضوعا آخر، لأنه مركز الحديث وأساس الاستفهام، والحقيقة الثانية تجسدت في ضياع الكتاب وفقدانه، في حين يبقى مكان ضياع الكتاب الحقيقة المجهولة من قبل المستفهم، الذي يسعى إلى معرفتها أو التحقق منها، ومنه نلاحظ أن (أين) في كلا البنيتين تصدرت الكلام، ووجهت الموضوع برمته، ثم خصصته زمنيا.

2-3- دلالة الاستفهام عن النسبة :

نركز، في هذه الفقرة، على وظيفة الأدوات : كم وأي وهل والهمزة في الدلالة على السؤال عن النسبة، بحيث تختص كل أداة بنسبة أمر أو شخص أو عدد.. إلى موضوع من مواضيع الكلام.

نقدم أمثلة لكل أداة من هذه الأدوات في البنيات الآتية :

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

24) أ- كم درهما عندك؟

ب- أي اللونين تفضل؟

ج- هل زيد مريض؟

د- أرأيت زيدا؟

تتساوى كل هذه الجمل في أن الأداة تسم الكلامَ بعدها بدلالة النسبة، حيث وسمت (كم) في (24أ) الجملة بنسبة العدد، فتم الاستفهام عن كل الدراهم التي يتوفر عليها المخاطب ، وتمثلت النسبة في البنية (24ب) في نسبة الأفضلية إلى أحد الألوان، ونلاحظ، بناء على ما جاء به النحاة حول دلالة (أي)، أنها تفيد معنى (من) للعاقل و (ما) لغير العاقل، إذ يصح أن نقول :

ما اللونان اللذان تفضلهما؟

مما يدل على أن (أي) أداة يقصد بها التحديد والتخصيص والاختيار بين فريقين، وتكمن وظيفتها، في الجملة في تحويلها معنى الكلام إلى الدلالة على الاستفهام، القائم على انتقاء أمر من بين أمور عديدة.

تستفهم الجملة (24ج) عن مدى نسبة المرض إلى زيد؛ ذلك أن الأداة (هل) وجهت المعنى، وحولت الجملة التقريرية الأولى في طبيعتها إلى معنى استفهامي، وهو الأمر نفسه الذي أدته الهمزة، التي وظفها المستفهم في البنية(24د)، للتحقق من حدث رؤية زيد ، مما يدل على نسبتها لفعل الرؤية (رؤية زيد) إلى المخاطب.

2-4- الاستفهام غير المباشر :

نبرز ، في هذه الفقرة، تطور أشكال اللغة الكلامية، التي نتج عنها مجموعة من الإجراءات الخاصة بالاقتصاد في اللغة، ذلك أن غياب أدوات الاستفهام لا يؤثر على انعدام هذا الأسلوب من الكلام[1]، مثلما أن حضور أدوات الاستفهام لا يمكن أن يدل على الاستفهام، وإنما يعوض معنى من المعاني التي يكشف عنها السياق والحالة النفسية والحالة الذهنية لأطراف التواصل.

يُجمع النحاة على أن الاستفهام يتحقق بواسطة أدوات متعددة، تنقسم إلى حروف وأسماء، وتقوم بعدة وظائف، بحيث إن كل أداة منها تختص بمعنى من المعاني، وتبث هذا المعنى في سياق الكلام.

يدل الاستفهام غير المباشر على وجود استفهام حقيقي معبر عنه بدون أداة محققة لفظا، مما يسمح لعدة مستويات بأن تتدخل في تحليل بنيات من هذا القبيل، ويحدث هذا النوع من الاستفهام في معطيات تواصلية، يكون فيها اتفاق ضمني بين الطرفين، على أن الأداة حاضرة، رغم عدم التلفظ بها بشكل مباشر، إذ يمكن أن نعبر عنها صوتيا، من خلال التنغيم الدال على أسلوب الاستفهام، أو يمكن أن نعبر عنه بواسطة فعل يمعجم معنى السؤال.

[1] نورمان (1992).

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2-5- الاستفهام بغير الحرف : الإنشاء بالحرف والإنشاء بالفعل :

ربط النحاة طبيعة الكلام بالأشياء الموجودة في الكون، التي تكون إما ذاتا أو حدثا أو أداة رابطة، يقيم بها المتكلم معان مختلفة، أثناء تفصيلهم في أقسام الكلم ؛ إذ اعتبروا أن معنى الاسم والفعل قائم فيهما، لا يخرج إلى غيرهما، أما الحرف فهو محتاج إلى غيره، ليجد هذا المعنى ، أو يتمم معناه الناقص.

تدخل أدوات الاستفهام على الجملة، فتسند مقتضى هذه الجملة إلى الأداة. فإذا استفهم المتكلم عبر بحرف الاستفهام عما وقع في نفسه من إمكان، و " إنما تستخبر خبرا قد قيل أو ظُنَّ،كأن قائلا قال : زيد قائم، فأردت أن تتحقق ذلك فقلت : أزيد قائم؟

حيث يدل هذا المعنى على أنه يؤثر على المتكلم أولا، الذي يسعى إلى التحقق من هذا الأمر، أهو واقع أم لم يقع، لأنه من المفترض أننا لا نستفهم عن أمر إلا وهو يجوز له الوجهان : إما بالإيجاب، ومن ثمة إمكانية وقوعه، وإما بالسلب، وبالتالي نفيه واقعا[1].

نستنتج، من هذا التحليل، أن المعنى المضمن في الاستفهام في حقيقته غير موجه إلى المخاطب فحسب، وإنما هو موجه إلى المتكلم نفسه، الذي يسعى إلى التأكد من خبر، والتحقق منه على سبيل الإيجاب أو السلب.

يعد الاستفهام من الأفعال اللغوية التي تقع في النفس، ويُعبَّر عنها بالحرف، لأن معناه متمثل في نفس المتكلم ، وإليه يسند الكلام الذي تشتمل عليه القضية الواردة بعده.

تعد الحروف بمثابة أفعال حقيقية مسندة إلى المتكلم، ذلك أن أدوات الاستفهام تقوم مقام الفعل "أستفهم" ، مما يحيلنا مباشرة إلى افتراض أن الأصل في الاستفهام يكون بالفعل الموضوع له، والمشتق من مصدر "استفهم استفهاما"، ونظرا إلى ميل الذهن إلى الاقتصاد اللغوي، أصبح الاستناد إلى الأداة مدعاةً ضرورية، في حين يعد الاستفهام غير المباشر المستغني عن الأداة حالة حديثة، اقتضاها التطور اللغوي.

يضم الاستفهام، الذي يستعين بالأداة ، معنى التوجيه ويمكن تفسير ذلك بناء على المعطى التمثيلي الآتي :

25) أ-أزيد مريض؟

تتضمن هذه الجملة توجيهين:

- التوجيه الأول : يتجلى في معنى الاستفهام المضمن في الهمزة، التي تستضمر معنى "أستفهم" أو "أتساءل" ، الشيء الذي يجعل ذهن المخاطب موجها بطريقة آلية، نحو استعياب أن هذه الهمزة تعد بديلا عن الفعل (أستفهم).

- التوجيه الثاني : يتجلى في العلاقة الإسنادية القائمة بين زيد والمرض.

نستشف، أن التفسير المتعلق بتصدر الأداة للكلام لا يعود إلى الطبيعة التركيبية، التي أكد عليها النحاة، وإنما هناك مسوغ دلالي نفترضه، ألا وهو أن الأداة التي تستضمر معنى الفعل أثرت في المعنى الإسنادي القائم بين زيد والمرض، على اعتبار أن غرض المتكلم يتجلى في الاستفهام حول إمكانية هذا الإسناد من عدم إمكانية وقوعه، وبالتالي إن استخبار المتكلم عن هذه الإمكانية تعد موضوع التواصل بينه وبين المخاطب، فجعلها أولوية في لغته، لتتصدر الكلام،كما رأينا في المثال، لأن هدف المتكلم لا يتجلى

[1] ابن السراج، الأصول، ج1، ص66.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

أساسا في البحث عن إسناد المرض إلى زيد، وإنما الاستفهام عن مدى حقيقته، والاستخبار عن جواز وقوعه أو عدم وقوعه، فكأنه قال :

- أستفهم عن (إمكان) مرض زيد.

أو

- أستفهم عن (إمكان أن يكون) زيد مريضا.

يتم التعبير عن الاستفهام في اللغة العربية بالأداة، كما يمكن التعبير بالأفعال ، وكما يمكن أن يكون التعبير عنه ضمنيا غير صريح، و يتطلب هذا التعبير تعاقدا بين طرفي التواصل، لأن أدوات الاستفهام نائبة عن أفعال المتكلم النفسية، التي لا يمكن التعبير عنها إلا باللغة، لكن هذه اللغة في أحيان كثيرة لا تُظهر المعنى بطريقة مباشرة ، وإنما تروم تبليغه عن طريق إيحاءات متمظهرة في اللغة نفسها، وتتضافر عدة قرائن في العملية التبليغية للمعنى،كالسياق المقامي والمقالي، والمستوى الصوتي (التنغيم أو النبر)، والحالة النفسية.. الخ ، ويوظف المستفهم أفعالا من قبيل : أسأل، أو سألني، أو أستفهم...

نستنتج ، من خلال ذلك ، أن معنى الجملة يتحول من الإنشائية إلى الخبرية، لكن هذا التحول يبقى حبيس اللغة، لأن معنى الاستفهام يظل أثره في الجمل، رغم استبدال الأداة بالفعل، وقد ورد هذ النوع من الاستفهام في القرآن الكريم، في قوله تعالى :

- " يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه" [1]

-" يسألونك عن الآلهة"[2]

-"يسألونك عن الخمر"[3]

تفيد هذه الآيات معنى السؤال، رغم عدم تضمنها عناصر الاستفهام المباشر. وتبين أن اللغة الكلامية شأنها شأن لغة القرآن الكريم، في بعض المواضع السياقية، بحيث يمكن أن نجد سياقات مختلفة تستعين بالجمل الاستفهامية المستغنية عن الأداة، لكن، مع ذلك، رغم غياب الأداة والتنغيم، يبقى أثر الاستفهام حاضرا في سياق الجملة، لنلاحظ ما يلي :

26) أ- سألتك عن مجيء زيد. / أزيد جاء؟

ب- أريد أن أسألك بخصوص موعد اللقاء. / متى اللقاء؟

نرى أن الجملتين الواردتين في (26أ) و (26ب) تقابلان بعضهما البعض؛ ذلك أن الجملة الخبرية في (26أ) تترجمها الجملة الاستفهامية، ولا يمكن القول بالعكس، لأن الأصل في الكلام هو الدلالة عليه بما هو مباشر، وليس بالأدوات، التي لا تعد سوى رموزا تتضمن معنى الاستفهام.

استغنى المتكلم في البنية: (سألتك عن مجيء زيد) عن الأداة، وحول الدلالة الاستفهامية إلى دلالة خبرية مباشرة، تخبر بسؤاله عن أمر يتعلق بمجيء زيد، وينسحب على البنية: (أريد أن أسألك بخصوص موعد اللقاء) ما ينسحب على هذه البنية؛ إذ أفادت خبرا

[1] سورة البقرة، الآية 217.
[2] سورة البقرة، الآية 189.
[3] سورة البقرة ،الآية 219.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يتعلق برغبة المتكلم في تحديد موعد زمني يؤطر اللقاء المذكور، في حين اختصرت الجملةُ الاستفهاميةُ المقابلةُ لها الكلامَ، وأعطته اقتصادا لغويا، وتكثيفا لمعنى الكلام في أداة واحدة.

3.أثر السياق في توجيه دلالة الاستفهام :

نبحث ، في هذه الفقرة، عن الوظيفة الأساس التي يبثها السياق في بنيات الاستفهام.

ونوضح، في نقطة أولى، أن المقام وحده لا يكفي لإعطاء معان غير مباشرة للاستفهام .إضافة إلى ذلك، نبين أن معاني الاستفهام تدخل في اعتبارها عناصر أخرى، التي لا يمكن أن تظهر على المستوى السطحي للغة. مما يحيلنا إلى استنتاج أساس، مفاده أن اللغة بمفردها لا يمكن أن تقدم تصورا للمعنى، وإنما تبقى التركيبة النفسية للمتكلم[1]، والحالة الاجتماعية التي يتموقع فيها، ضروريتين في تفسير معطيات الاستفهام وعلاقته بالسياق.

يقوم السياق بوظيفة أساس في توجيه دلالة بنية الاستفهام ؛ إذ إن هذا السياق مؤطر بقرائن مقالية، تُذكر في الخطاب، أو مقامية، تمتد إلى الحالة النفسية والذهنية لأطراف التواصل، ثم المقام الذي بُثَّ فيه هذا الخطاب.

يتأسس المعنى على عنصرين أساسين؛ أولهما العنصر الوظيفي للكلام، المتكون من ثلاث مستويات (صوتية وصرفية ونحوية)، وهي مستويات تجسد المعنى الحقيقي والمباشر للاستفهام، بحيث ينحصر معنى الجملة الاستفهامية في بحثها عما يجهله المتكلم ويريد جوابا من المخاطب، وما يؤيد هذا المعنى هو المستوى المعجمي ، المنبني على المعنى الحرفي للخطاب، الذي يساهم في حصر المعنى، حتى لا يتجاوز البناء الشكلي للكلمات، إلى ما يحيط بالخطاب من قرائن أخرى.

يجسد هذه القرائن العنصر الثاني، وهو العنصر المقامي، أو موقف المتكلمين من الكلام، بوصف مواقفهم مواقف اجتماعية، تبتغي إثارة مجموعة من المعاني، التي لا يمكن للكلام المباشر التعبير عنها، مثل المدح، والفخر، والدعاء، والاستعطاف، والتمني، والتعظيم، والتحقير ، وغيرها من المعاني السياقية، وهو أمر عبر عنه البلاغيون في خضم حديثهم عن مجموعة من المفاهيم، مثل مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وأن لكل مقام مقال..[2]

تستدعي مطابقة الكلام للمقام التواصلي الذي يوجد فيه المتخاطبون عدة علوم ومعارف، من أجل الكشف عن الحيثيات المتدخلة في تأدية الاستفهام، ذلك أن علم النفس له وظيفة أساس في تبيان هذه المطابقة؛ إنه يُعرّي عن عناصر رئيسة، التي تساهم بشكل كبير في إبراز المعاني السياقية للاستفهام، حيث يكشف عن كيفية إدراك الإنسان للغة، وعلاقته بها ، وكيفية إنتاجها، ومن جهة المخاطَب ، يبين علم النفس الطريقةَ التي من خلالها يفهم المعنى ويقتنع به، إضافة إلى ردود أفعاله اللغوية، إذا لم يتأتَّ له هذا الاقتناع.

يسعى علم النفس إلى إبراز العاطفة المؤثرة في أطراف التواصل، وتتمثل في القدرة على الخيال، وإظهار المشاعر الدفينة، والحالة النفسية التي تتفاعل مع كل من السياق والخطاب.

تتضافر كل هذه العناصر المعنوية، بغرض بث معنى من معاني الاستفهام؛ إذ لا يمكن تجاهل دورها أو التقليل من قيمتها، لأنها ضرورية في إنتاج المعنى وتلقيه.

---

[1] هورت (1995).

[2] تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ،ص 237 .

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

نعطي معطيات تمثيلية تبرهن على هذا التحليل :

27) أ – هل أنت تتحدث بجدية؟

ب – ماذا تقصد من هذا الكلام؟

قد لا تدل البنية (27أ) على استفهام مباشر، فإذا دل الأمر على ذلك، فإنه بهذه الحال يعد استفهاما حقيقيا مبتورا من السياق الذي أُنْتِج فيه، لكن، إضافة إلى ذلك، قد تدخل في إنتاج هذه الجملة اعتبارات مقامية أخرى ؛ حيث من المفترض أن هذه البنية قد قيلت في ظروف يطبعها نقاش حاد لم يُرْضِ المتكلم، ولم يستصغه، فأراد أن يتأكد، أو أنه رغب في الدفع بالمخاطب إلى مراجعة كلامه، حتى يعلم أنه غير مقبول لدى الطرف الآخر، أو أن هذا الكلام قيل بصدد مزحة دارت بين المتخاطبين، فظن المتكلم أنها حقيقية ، حتى يستطيع المخاطب ،بذلك ، نفي مقتضى الكلام، ويمكن إسقاط التحليل نفسه على البنية (27ب)، التي قد يكون الدافع خلف إنتاجها هو غضب وصراع كلامي بين أطراف الحوار، ليعيد مستقبل الاستفهام ترتيب أوراقه، وتصحيح كلامه، أو يقوم بتأكيده والدفاع عنه أو تعديله..الخ

تحسم الحالة النفسية لمنتج البنية في انتقاء إحدى هذه الفرضيات[1]، والإطار الذي يتواجد فيه المتخاطبان، ثم السياق الكلامي الذي دار بينهما ، وصولا إلى هذه الجملة الاستفهامية بهذا الشكل، إضافة إلى عنصر النبر الذي لا يمكن إغفاله، والذي يمكن أن يختزن عدة دلالات تتناغم مع السياق؛ إذ إن طريقة نطق السؤال قد توحي إلى نوع من السخرية، أو إذا تم نطقه بصوت مرتفع، قد يحيل إلى رغبة المستفهم في إشراك الحاضرين بالغرفة في مجريات الكلام، لينصتوا له جميعهم ولتعمم السخرية، وتصبح مفهوما مشتركا بين عدة متدخلين.

لنتأمل المعطى الثالث :

27)ج – كيف توصلت إلى هذا الاستنتاج ؟

تفيد البنية (27،ج) استفهاما لا يمكن حصر مضمونه من خلال الجملة في تسلسها الخطي، وإنما ينبغي، بالضرورة ، استحضار الحوار القبلي المؤطر بسياق معين، يمكن الافتراض من خلاله أن المتكلم أزعجته طريقة الاستنتاج، ولم يتقبلها، فأراد أن يعرف الكيفية التي توصل بها إليه ، أو أن البنية قد قيلت من قبل مدرس انتبه إلى وجود هفوة في طريقة برهنة تلميذه على معادلة حسابية، التي قام التلميذ بحلها بطريقة غير سليمة، أو أنها قيلت في سياقات أخرى مثل السخرية أو التعجب من ذكاء الطالب الذي قدم استنتاجا بارعا.. الخ

نستنتج، من هذه المعطيات والافتراضات التي تولدت عنها، أن السياق وحده لا يكفي من أجل البحث عن الدلالات التي يفضي إليها أسلوب الاستفهام؛ إذ يدخل في اعتبار هذه الدلالات عناصر أخرى ، مثل الحالة النفسية والمزاجية لأطراف الحوار، ثم الموقف الاجتماعي الذي يتواجدون فيه، أضف إلى ذلك ، يتحكم في معاني الاستفهام نية منتج الخطاب، ويجب التأكيد على أن المخاطب غير عالم بها، ذلك أن هذه النية من الممكن أن تظل مضمرةً غيرَ مصرحٍ بها ، ومعنى هذا، أننا نفترض أن الجملة (27ج) يمكن أن تتضمن سخرية لا يُظْهِرها المتكلم، ولا يعبر عنها بشكل مباشر، لا في نبرة صوته، ولا من خلال ملامح وجهه، بحيث تبقى مضمرة في نفسه، الشيء الذي يجعل المخاطَب جاهلا بِنية المتكلم ، مُمَوَّها عن المعنى المقصود من خلال الاستفهام.

[1] كوتيك (2014) .

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

يمكننا القول، إننا رغم محاولاتنا في رصد المعاني التي يتيحها الاستفهام ، إلا أنه لا يمكن بناء تصور دقيق للمقصدية الحقيقية التي يروم منتجو الاستفهام تبليغها ، لأن الأمر يدخل فيه اعتبارات غير لغوية، كالحالة النفسية، والمزاج، والخلفية الإيديولوجية، والحالة الذهنية، والموقف الاجتماعي، وغيرها..

خاتمة:

حاولنا، في هذه الورقة، معالجة بعض الإشكالات التركيبية والدلالية التي يطرحها أسلوب الاستفهام في علاقته بالسياق، وبينا في البدء، التصور النحوي التقليدي، وتجاوزنا الحدود التي رسمها النحويون، فيما يتعلق بالدلالة التي تؤديها معطيات الاستفهام في اللغة العربية، وأوضحنا في شق ثان، بعض الخصائص الدلالية والسياقية لهذا الأسلوب، مستثمرين بعض المفاهيم التي استنتجناها، بوصفها دلالات يرمي المستفهم إلى تبليغها وتأديتها، بناء على اعتبارات لغوية وغير لغوية .

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم.

_ ابن الحاجب، أبو عمرو عثمان، **الكافية في النحو**، تحقيق د.طارق نجم عبد الله، مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة، 1986.

_ ابن فارس، أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها ونتف العرب في كلامها**، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.

_ ابن منظور، جمال الدين الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 2000.

_ المبرد، أبو العباس محمد بن اليزيد، **المقتضب**، تحقيق عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994.

_ حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

_ سيبويه، عمرو بين عثمان، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.

– Gisli Gudjonson, 2003, **The psychology of interrogations and confessi**

- Heim , Irene,1982 ,**The Semantics of Definite and Indefinite Noun Phrases**, dissertation,Umass Amherst.

– Pei, Mario , 1973,**Double–speak in America**, hawthorn books.

-Hadas Kotek, 2014, **on the semantic of wh–questions**, McGill University. Montreal, Canada. collection savoir, Lettres, Herman, paris, 1996.

-Huart, 1995, **what do you mean ?: attention**, **une question peut en cache rune autre**, **in linguistique et didactique**, Gabrier Charles 6 n19, université de Paris st-Denis Diderot.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/